

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: 1]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بداية سورة
الزمر تتمّة لما
ختمت به سورة
ص

لما ختمت سورة (ص) بالحديث عن القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾؛ جاءت أوّل آية من الزمر: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، ولذلك أعربوا قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ﴾ بأنّه خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، تقديره (هذا)، واسم الإشارة يعودُ إلى القرآن الذي ورد ذكره في آية (ص)، "فكأنّه قيل: هذا الذّكرُ تنزيلٌ، وهذا تلاوُثٌ شديدٌ بحيث إنّهُ لو أُسقطتِ البسملة؛ لالتأمت الآيتان كالأية الواحدة"⁽¹⁾، وحتى لو أُعربتْ ﴿تَنْزِيلُ﴾ مبتدأ، ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ خبره، تكونُ الجملة تعليلًا؛ لكونه ذِكْرًا للعالمين، أو لقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَنْزِيلُ﴾: مصدر (نَزَلَ) المضاعف، والنزولُ هو الانتقالُ من علوّ إلى سُفْلٍ، وأصله (نزل) يدلُّ على انحطاطٍ من علوّ، وهبوطٍ شيءٍ ووقوعه، ونزَلَ في مكان كذا: حطَّ رحله فيه، وقد يرادُّ به مجردُ الحلول، والتَّنْزِيلُ: تَرْتِيبُ الشَّيْءِ وَوَضْعُهُ مَنَزِلَهُ⁽²⁾، والآية تدلُّ على تنزيلِ الكتابِ مِنَ اللَّهِ تعالى⁽³⁾، وأنّه ليس مكتوبًا في الأرض⁽⁴⁾.

(2) ﴿الْكِتَابِ﴾: مصدرُ (كتب)، وأصله يدلُّ على جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، ويُطلقُ الكتابُ على المكتوب، والكتابةُ ضمُّ الحروفِ بعضها

(1) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص: 128.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والفيوميّ، الصباح للنير: (نزل).

(3) القاسمي، محاسن التأويل: 279 / 8.

(4) اللاتريدي، تأويلات أهل السّنة: 25 / 4.

إلى بعض بالخطِّ، فالأصلُ في الكتابة النَّظْمُ بالخطِّ، وفي المقالِ النَّظْمُ باللفظ، وقد يُستعملُ كلُّ واحدٍ للآخر، ولهذا سُمِّيَ كلامُ الله - وإن لم يُكتب - كتابًا، أي: قبل أن يكتب سُمِّيَ كتابًا؛ لما يؤوَّلُ إليه من الكتابة في علم الله تعالى⁽¹⁾، فصار الكتابُ علمًا بالغلبة على القرآن⁽²⁾، فالمرادُ هنا بالكتاب القرآن⁽³⁾.

(3) ﴿الْعَزِيزُ﴾: أصلُ (عزز) يدلُّ على تَماسُكِ الجِرمِ الرَّخْوِ، حتَّى يبلُغَ الشَّدَّةَ والصَّلابةَ التَّامَّةَ، والعِزَّةَ: القوَّةَ والشَّدَّةَ والغَلَبَةَ، والعِزُّ: خِلافُ الذُّلِّ⁽⁴⁾، يُقالُ: عَزَّ يَعَزُّ - بالفتح للمُضارع - إذا اشْتَدَّ، وقَوِيَ، وبالكسرِ للمُضارع؛ إذا قَوِيَ، وامْتَنَعَ، وبالضَّمِّ: إذا غَلَبَ، وقَهَرَ⁽⁵⁾، والعَزِيزُ: الَّذِي يَقْهَرُ، ولا يَقْهَرُ، وسُمِّيَ بِهِ لِغَلَبَتِهِ على أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، والعَزِيزُ: من صِفاتِ الله تعالى وأَسْمائِهِ الحُسنى، قال الزَّجَّاجُ: هو المُمْتَنِعُ، فلا يغلِبُهُ شيءٌ، وقال غيره: هو القويُّ الغالبُ كلَّ شيءٍ، وقيل: هو الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ⁽⁶⁾.

(4) ﴿الْحَكِيمُ﴾: أصلُ (حكم) المَنعُ، وأوَّلُ ذَلِكَ الحُكْمُ: المَنعُ مِنَ الظُّلْمِ وَمِنَ الفسادِ، أي: المَنعُ للإصلاح، والحَكِيمُ: المُنْتَصِفُ بالحِكْمَةِ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ⁽⁷⁾، والحَكِيمُ: من صِفاتِ الله تعالى، يجوزُ أن يكونَ من صِفاتِهِ لذاتِهِ بمعنى العالم، ويجوزُ أن يكونَ من صِفاتِ الفعل⁽⁸⁾، وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ، أو هو الَّذِي يُحْكَمُ الأشياءُ، ويتقنُها، فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ⁽⁹⁾، فهو العالمُ، وصاحبُ الحِكْمَةِ المُنْتَقِنُ للأُمُورِ⁽¹⁰⁾.

❁ الْمَغْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخبرُ اللهُ تعالى عن عِظَمَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَجَلالَةِ مُنْزَلِهِ سَبْحانَهُ، بأنَّ هذا الكتابَ الَّذِي أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ، تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ الَّذِي وَصَفُهُ الأُلُوْهيَّةُ لِلخَلْقِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كتب).

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 14/3.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 248/21.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عزز).

(5) النحاس، معاني القرآن: 1/379.

(6) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (عز).

(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حكم).

(8) الجفيري، شمس العلوم: (الحكيم).

(9) ابن منظور، لسان العرب: (حكم).

(10) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 56، والجوهري، الصحاح: (حكَم).

وصف كمال
القرآن وعلو
مرتبه وجلالة
من تكلم به
ونزل منه

استئناف مبين
للذكر بأنه تنزيل
من الله

وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذلك له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل الآية عما قبلها:

جاءت فاتحة سورة الزمر: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ مفصولة عما قبلها من خاتمة سورة (ص) مقطوعة عنها، ولم تسبق بعاطف، لما بينهما من شبه كمال اتصال؛ لأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، فكأنه قيل: هذا الذكر ما هو؟ فقيل: هو تنزيل الكتاب⁽²⁾، وهذا على إعراب ﴿تَنْزِيلُ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو) أو (هذا)⁽³⁾.

وعلى إعراب ﴿تَنْزِيلُ﴾ مبتدأ، وخبره الجار والمجرور بعده، يختلف تقدير السؤال، فإنه لما تبين من التهديد في سورة (ص) أنه سبحانه قادر على ما يريد، ثم ختمها بأن القرآن ذكر للعالمين، وأن كل ما فيه لا بد أن يرى؛ لأنه واقع - لا محالة - لكن من غير عجلة، فكانوا ربما قال متعنتهم: ما له إذا كان قادراً لا يعجل ما يريده بعد حين؟ فعُلِّل ذلك بأنه ﴿تَنْزِيلُ﴾، أي: بحسب التدرج، لموافقة المصالح في أوقاتها، وتقريبه للأفهام على ما له من العلو حتى صار ذكراً للعالمين⁽⁴⁾.

بلاغة ابتداء السورة بأسلوب الغيبة:

في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ جرى الأسلوب فيه بطريق الغيبة؛ لأنه الأنسب والأبلغ للوفاء بتحقيق

في الاستمرار
بأسلوب الغيبة
إظهاراً للترابط
بين السورتين

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 717.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 181/9، والآلوسي، روح المعاني: 224/12.

(3) الفراء، معاني القرآن: 414/2، والزمخشري، الكشاف: 112/4، وابن جرير، جامع البيان: 154/20.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 437/16.

التناسب مع سورة (ص) التي خُتِمَتْ بالحديث عن القرآن الكريم بطريق الغيبة، فاستمرَّ على الطريقة ذاتها؛ إظهاراً للترباط بين السورتين، وتحقيق التناسب والاتصال بينهما، فلا يكاد القارئ أو السامع يشعر أثناء انتقاله من سورة (ص) إلى سورة الزمر بانقطاع في المعنى، أو تغيير في السياق، أو تعثر في جريان الكلام وتسلسل حلقاته، وترباطها، وحسن ترتيبها، وإفضاء كل حلقة إلى ما يليها في سهولة وسلاسة.

براعة الاستهلال بالمصدر ﴿تَنْزِيلٌ﴾:

من الابتداء الحسن براءة الاستهلال، بأن يشتمل ابتداء الكلام على إشارة إلى المقصود من الكلام⁽¹⁾، وهذا ما تحقق في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ باختيار لفظ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ الذي هو مَصْدَرٌ (نَزَلَ) المُضَاعَفُ، وهو مُشْعِرٌ بأنه أنزله منجماً، وفي ذلك ردُّ على الطاعنين؛ لأنهم من جملة من عللوا كفرهم بكون القرآن نزل منجماً، كما أخبر الله في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]؛ ولذلك قال ابن عاشور عن فاتحة السورة: "فاتحة أنيقة في التَّنويه بالقرآن، جُعِلَتْ مُقَدِّمَةً لهذه السورة؛ لأنَّ القرآن جامع لما حوَّته وغيره من أصول الدين"⁽²⁾، ولأنَّ القرآن هو أعظم دليل وأكبر حجة على تفرد الله بالإلهية، وأنه وحده الحقيقي بالعبادة الخالصة، ولذلك كان التخلُّص إلى مقصود السورة غايةً في الحسن، حيث بدأ بالحديث المجمل عن تنزيل الكتاب، ثم بخصوص إنزال الكتاب على نبيه ﷺ ثم فرَّع عنه أمر نبيه بالعبادة الخالصة في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، ثم تخلَّص إلى مقصود السورة بقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾⁽³⁾.

فاتحة أنيقة في
التَّنويه بالقرآن
جُعِلَتْ مُقَدِّمَةً
للسورة

(1) السيوطي، الإتقان: 3/ 318، وشروح التلخيص: 4/ 259، وما بعدها.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 314.

(3) الدسم، سورة الزمر دراسة بلاغية تحليلية، ص: 492.

التعبير بلفظ ﴿تنزيل﴾ مادة وصيغة:

في علو المنزل
وشرف المنزل
ذكر وإكرام
للعالمين

يضاف النزول والإنزال والتنزل والتنزيل إلى الأمور العظيمة ذات الشأن، كالقرآن والملائكة الكرام، أو الرّجز والعذاب وغيرها، فهذه الكلمة توحى بالجلال والقوة النافذة، والفخامة المتناهية، والعظمة الكاملة؛ لأنّ مادة نزل أو نزل أو أنزل، تدلّ كلّها على علو المنزل، وعلى أنّ شرف المنزل من شرف من أنزله، وتدلّ أيضًا على أنّ من أنزل المنهج القويم للمخلوق يريد أن يكرّمه، وأنّ يعلّو به⁽¹⁾.

التوجيه الصوتي لصيغة التضعيف:

تنزيل عظيم
يوحي بفخامة
المنزل، ومثانة
أمره، وقوة
تأثيره

جاء التعبير بكلمة ﴿تنزيل﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وهو مصدر (نزل)، أي: نزل الله تنزيلًا، وهي صيغة مضعّفة، ومجيء حرف الزيادة من جنس الحروف الأصلية للكلمة يدلّ على تأثيره في أصل المعنى بالزيادة فيه، ويتّضح أنّ المعنى الذي زاده التضعيف في الكلمة هو معنى التّكثير، والتّكثير فيه معنى المبالغة، وهذا التّضعيف في الحرف يجعل النطق به صعبًا؛ لقوّة الحرف المضعّف، فيُضاف إلى معنى التّكثير معنى القوّة، التي توحى بوضوح أثره، وقوّة تأثيره في غيره، ويستدعي التّضعيف كذلك إطالة مدّة نطق الحرف المضعّف الزمنيّة، بالنّسبة إلى غيره، ممّا يستدعي لفتًا للانتباه، وتبطينًا للإمهال على التأمّل والملاحظة حتى يدرك أنّ ثمة أمرًا مختلفًا يراود التنبّه له، والإشارة إليه.

كما أنّ معنى التّكثير والمبالغة يدلّان على معانٍ زائدة اختصّ القرآن بها في هذا الموضع، منها الإشارة إلى طريقة إنزاله على وجه التّجسيم والتّفصيل والتّدرّج حسب الوقائع والأحوال المناسبة، وهذا مناسب لكون السّورة التاسعة والخمسين نزولًا؛ إذ أنزلت بعد

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 13014 / 21.

سورة سبأ وقبل سورة غافر⁽¹⁾، ومنها المبالغة في أمره حتى اتَّصَفَ بصفات الكمال، والعناية به حتى بلغ منزلة رفيعة، واختصَّ بصفات كريمة، حتى وصفه بقوله في السورة ذاتها بصيغة التضعيف كذلك: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الزمر: 23]⁽²⁾.

بيان الموقع الإعرابي لـ ﴿تَنْزِيلٌ﴾:

في إعراب ﴿تَنْزِيلٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ وجهان⁽³⁾، أحدهما: خبرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، هو اسمٌ إشارة، تقديره: (هذه) أُشِيرَ بِهِ إِلَى السُّورَةِ تَنْزِيلًا لَهَا مَنْزِلَةً الْحَاضِرِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ؛ لِكُونِهَا عَلَى شَرَفِ الذِّكْرِ وَالْحُضُورِ، كما مرَّ مرارًا، وقد قيل: هو ضميرٌ عائدٌ إلى الذِّكْرِ في ختام سورة (ص) في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾، ومن لطائف هذا الوجه الإيجازُ بحذف المسند إليه، والاكتفاء بقرينة السياق والعقل على الحذف، ولفتُ ذهن السامع بالحذف إلى هذا الكلام المستأنف في سورة الزُّمَرِ، أي: التَّنْبِيهُ الذي يحمله الخبر.

أو ﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأٌ خبره ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وحسن رفع ﴿تَنْزِيلٌ﴾ بما بعده؛ لكونه مضافًا إلى معرفة⁽⁵⁾، وفائدة هذا الخبر هو الرَّدُّ على الكافرين والممكرين المشككين الذين يدَّعون أنَّ هذا القرآن ليس من عند الله العزيز الحكيم، أي: هذا الخبر تأكيدٌ على أنَّ القرآن من الله، بما يدلُّ على ربَّانِيَّةِ مصدره، وهذا يناسبُ حالَ المشركين الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ كونه من عند الله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [يونس: 38]، وقوله: ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: 14]،

بين بيان شرف
السورة أو
القرآن وإثبات
ربَّانِيَّةِ مصدره

(1) الزركشي، البرهان: 1/ 193.

(2) الدسم، سورة الزمر دراسة بلاغية تحليلية، ص: 85.

(3) الفراء، معاني القرآن: 2/ 414، وابن جرير، جامع البيان: 21/ 248، والزمخشري، الكشاف: 4/ 110.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 240.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 248.

وقوله: ﴿وَقَالُوا أَسْطِطِرُّوْنَ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَتْهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿الفرقان: 5﴾.

معنى (ال) في ﴿الْكِتَابِ﴾:

القرآن الكريم
هو الكتاب
المعهد الكامل
في الكتب

(ال) في ﴿الْكِتَابِ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ إمّا عهدية، والمراد به "القرآن المعهود بينهم عند كلّ تذكير وكلّ مجادلة"⁽²⁾، فهو الكتاب الكامل في الكتب، ولا ينصرف إلا إلى القرآن الكريم⁽³⁾، ويكون إعادة ذكره وإظهاره دون إضماره في الآية الثانية بقصد تعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه⁽⁴⁾، أو جنسية، والمراد به اسمًا عامًا لجميع ما تنزل من عند الله من الكتب السماوية⁽⁵⁾، وكأنّه أخبر إخبارًا مجردًا أنّ الكتب الهادية الشارعة إنّما تنزلها من الله، وجعل هذا الإخبار تقديمًا وتوطئة لقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾⁽⁶⁾؛ إثباتًا لصدق النبي ﷺ فيما جاء به، وتأكيّدًا لنسبة القرآن إلى الله ﷻ، فكأنّ المعنى هو: كما أنّ الله أنزل الكتب السماوية السابقة على رسله السابقين، والتي يؤمن بها معظمكم، كذلك أنزل الله القرآن الذي تكذبون به على النبي ﷺ، وكذلك ليدلّ على اشتمال القرآن الكريم على ما في الكتب السماوية كلّها من آداب وأخلاق وأحكام وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة، فاستحقّ بذلك إطلاق الكتاب عليه؛ لاشتماله على ما فيها من أحكام وزيادة.

دلالة التعبير بـ﴿الْكِتَابِ﴾ دون (القرآن):

جاء لفظ ﴿الْكِتَابِ﴾ في سورة الزمر خمس مرّات، فكان التعبير بالكتاب في افتتاح السورة متناسبًا مع تكراره فيها عدّة

هو كتاب
مكتوب في
اللوح المحفوظ
ومكتوب في
الصحف التي
بأيدينا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 23.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 13016 / 21.

(3) الألوسي، روح المعاني: 224 / 23، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 240 / 7.

(4) الألوسي، روح المعاني: 224 / 23.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 181 / 9.

مرّات، والكتاب من مادة (كـتـب) الدّالة على جمع شيءٍ إلى شيءٍ⁽¹⁾، ويُعبّر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة، ودُكرَ أيضًا من معاني هذه المادة الحُكم، والقضاء، والقدْر، واللّوح المحفوظ، وبمعنى الحجّة الثّابتة والإيجاد⁽²⁾، ومن ثمّ فالتّعبير بالكتاب يناسب السّياق، أي: ما تضمّنته الآية من قوّة سواء بالتّضعيف في لفظ «تَنْزِيلٍ»، أو في ذكر الاسم الجليل وأوصافه، ويناسب المقام، ف(كتاب) على وزن (فعل) بمعنى مفعول، أي: فهو مكتوبٌ في اللّوح المحفوظ، ومكتوبٌ بالصّحف التي بأيدينا، ومكتوبٌ في الصّحف التي بأيدي الملائكة⁽³⁾، فهو مسجّلٌ ومكتوبٌ لا يُنكر⁽⁴⁾.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾:

حرف الجر «مِنْ» في قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ» لا ابتداءً الغاية، فقد أخبر البيان القرآني عن هذا التّنزيل بأنّ مَبْدَأَ تَنْزِيلِهِ كَائِنٌ مِنْهُ ﷻ⁽⁵⁾، أي: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وحده الَّذِي له الخلق والأمر⁽⁶⁾، لا مِنْ جبريل ولا مِنْ مُحَمَّدٍ ولا مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ كان⁽⁷⁾، فلا تكوننَّ أيُّها المخاطَب في شكٍّ مِنْ ذَلِكَ⁽⁸⁾.

دلالة التّعبير في قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾:

في التّعبير عن مُنْزَلِ الْقُرْآنِ ﷻ بالاسم الجليل «اللَّهُ» الجامع لصفات الكمال في قوله: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ» ثناءً على القرآن الكريم بأنّه جامعٌ لكلِّ صفات الكمال في أسلوبه ومضمونه، فالكلامُ وصفٌ للمتكلم، والوصفُ يتبعُ الموصوف، فكما أنّ مِنْ وصفه سبحانه

مَبْدَأُ تَنْزِيلِ
الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَحْدَهُ يَدْفَعُ
أَيَّ شَكٍّ فِي
عَظَمَتِهِ

كَمَالُ الْمُنْزَلِ مِنْ
كَمَالِ الْمُنْزَلِ
سَبْحَانَهُ

(1) ابن فارس مقاييس اللغة: (كتب).

(2) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كتب).

(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الزمر، ص: 13.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 21 / 13016.

(5) الشنقيطي، أضواء البيان: 7 / 45.

(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12 / 192.

(7) ابن عثيمين، تفسير سورة الزمر، ص: 13.

(8) ابن جبر، جامع البيان: 21 / 248.

الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله من كل وجه، ولا مثيل له، فذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له⁽¹⁾، ولأن المنهج الذي نزل به الكتاب هو منهج إيماني وخلقّي وتعبدي، فهو من عطاء الألوهية لا من عطاء الربوبية⁽²⁾.

معنى (ال) في «العزيز»، ودلالة التعبير بالعزة فيه:

لفظ «العزيز» في قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» هو خلاف الدليل⁽³⁾، ومدار لفظ العزة على معنى الشدة والقوة، وما ضاهاهما من الغلبة والقهر⁽⁴⁾، وعلى معنى ندرة الشيء، يُقال: عزَّ الشيءُ حتَّى يكاد لا يوجد⁽⁵⁾، والعزیز: من أسماء الله الحسنى، ووصف من أوصاف الذات العلية، وهو الممتنع، فلا يغلبه شيء، فهو الذي ليس كمثله شيء، ولذا فاللام في اسم العزيز هي عهديّة، واصطفاء التعبير به في هذه الآية يوحي بأن كلام الله منزل على ما يناسب هذا الوصف، فيكون عزيزاً غالباً بالحجة لمن كذب به، وغالباً بالفضل لما سواه من الكتب، وغالباً لبغاء العرب؛ إذ أعجزهم عن معارضة سورة منه⁽⁶⁾، فهو كلام نادر لا يشبهه أي كلام، وفي التعبير باسم العزيز كذلك تحذير من مخالفة كتابه الذي أنزل، فهو سبحانه عزيز في انتقامه.

معنى (ال) في «الحكيم» ودلالة التعبير بالحكمة فيه:

«الحكيم» وصف لله تعالى واسم من أسمائه، واللام فيه عهديّة، فالحكيم هو الله سبحانه، وهذا الوصف لمنزل الكتاب يوحي

القرآن لا يغلبه
شيء، وهو
يغلب كل شيء

في وصف
الحكيم إيماء
إلى أنه أنزل
كتابه بالحكمة
وإرشاداً إلى
تدبره

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 717.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 13017 / 21.

(3) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عز).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (عز).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عز).

(6) الألوسي، روح المعاني: 23 / 233، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 314.

بأنّصاف كتابه بأنّه حكيمٌ، والحكيم: إمّا بمعنى الحاكم، فيكون القرآن حاكماً على معارضيه بالحجّة، وحاكماً على غيره من الكتب السماويّة بما فيه من التفصيل والبيان، قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 48]، وإمّا بمعنى: المحكم المتقن، فالقرآن مشتملٌ على البيان الذي لا يحتملُ الخطأ، وإمّا بمعنى الموصوف بالحكمة، فالقرآن مشتملٌ على الحكمة كأنصاف مُنزل به، وجميعٌ ما فيه قائمٌ على أساس الحكم الباهرة⁽¹⁾، وفي وصف الحكيم إيماءٌ إلى أنّه أنزله بالحكمة، وهي الشريعة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269]، وفي هذا إرشادٌ إلى التدبّر في معاني هذا الكتاب؛ ليتوصّل بذلك التدبّر إلى العلم بأنّه حقٌّ من عند الله⁽²⁾.

لطيفة الجمع بين ﴿العزیز﴾ و﴿الحكيم﴾:

التعرّض لوصفي العزّة والحكمة في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؛ للإيدان بظهور أثرهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مُدافع ولا ممانع وبابتداء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة⁽³⁾، وقد جاءت فاصلة الآية: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ مستقرّة مطمئنّة في موقعها، خادمة لمعنى الآية: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وما يقتضيه المقام والسياق وما يناسب الغرض العام في السورة، فإنّه لما تقدّم في الآية ذكر التّنزيل، اقتضى ذلك ذكر: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؛ للإيماء إلى أنّ ما ينزل منه يأتي على ما يناسب الصّفتين⁽⁴⁾ من العزّة، أي: الغلبة للخصوم، وإفحام بلغاء العرب؛ إذ أعجزهم عن معارضته، والحكم على معارضيه بالحجّة والبرهان، فأنّت ترى ما في الفاصلة

كتاب غالب
لخصومه حاكم
على معارضيه
بالحجّة
والبرهان فمُنزله
العزیز الحكيم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 240 / 7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 23.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 240 / 7.

(4) الألوسي، روح المعاني: 233 / 23.

من الائتلافِ والتَّمَكُّنِ والتَّهْيِيدِ والقرار، فلا نفورَ فيها ولا قلق، ولا اختلال، ولا اضطراب.

وقد دلَّ استقراءُ القرآنِ العظيمِ على أَنَّ اللَّهَ إِذَا ذَكَرَ تَنَزَّلَهُ لكَتَابِهِ؛ أَتَبَعَ ذَلِكَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، الْمُتَضَمِّنَةِ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا، بِمَا يَدُلُّ بِإِضَاحٍ عَلَى عَظَمَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَجَلَالَةِ شَأْنِهِ وَأَهَمِّيَّةِ نَزُولِهِ⁽¹⁾.

نكتة تقديم ﴿الْعَزِيزِ﴾ على ﴿الْحَكِيمِ﴾:

يغلبُ بحجَّته
وفضله سبحانه
فيحكمُ بمنهجه
وشرعه

قَدَّمَ الْبَيَانُ الْحَكِيمُ اسْمَ الْعَزِيزِ عَلَى اسْمِ الْحَكِيمِ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ فَحَكَمَ⁽²⁾، وَلِأَنَّ صِفَةَ الْعَزِيزِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَصِفَةَ الْحَكِيمِ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ⁽³⁾، وَلِكونِ الْقُدْرَةِ مُقَدِّمَةً عَلَى حَسَنِ التَّدْبِيرِ، وَلِمُرَاعَاةِ فَاصِلَةِ الْآيَةِ لِلَّتِي بَعْدَهَا، وَلِمُنَاسَبَةِ السِّيَاقِ، وَهُوَ الْحَدِيثُ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَضْفَى عَلَيْهِ هَذَانِ الْأَسْمَانِ صِفَةَ الْعِزَّةِ وَالْحُكْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَالْقُرْآنُ يَغْلِبُ الْخُصُومَ، وَيُفْجِئُهُمْ بِعَجْزِهِمْ عَنْ مَعَارَضَتِهِ، فَيَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، وَيَغْلِبُ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِالْفَضْلِ، وَيَهَيِّمُنْ عَلَيْهَا بِمُنَهْجِهِ الْحَكِيمِ وَشَرْعِهِ الْقَوِيمِ، وَأَحْكَامُهُ قَائِمَةٌ وَأَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ نَافِذَةٌ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعٍ وَلَا مَمَانِعٍ.

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 46 / 7.

(2) السيوطي، الإتقان: 45 / 3.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 627 / 1.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-641-51-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»